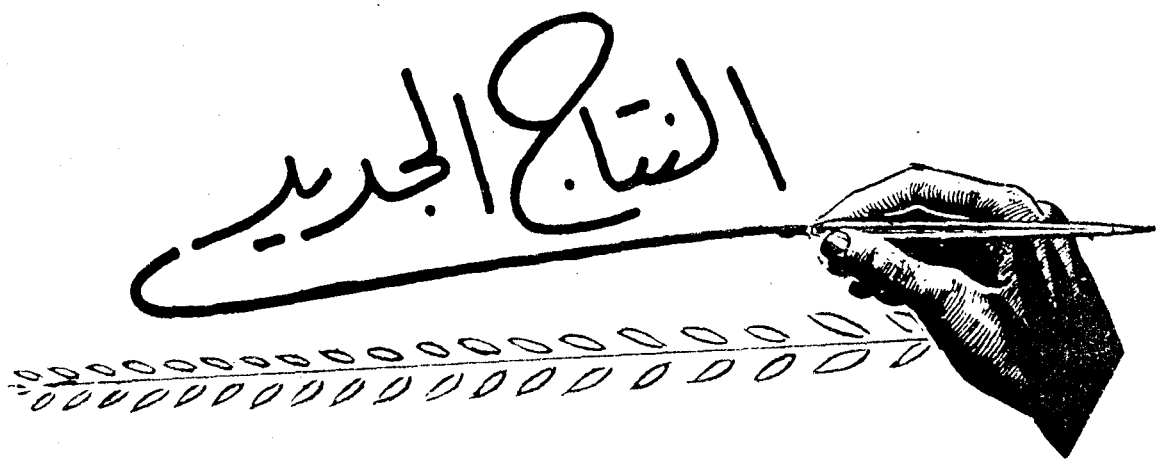

النثـــر المهجري

دراسة بقلم عبد الكرايم الاشتر

منشورات معهد الدراسات العربية العليـــا

*

في حقل الدراسة الادبية : ظهر كتاب « النثر المهجري » لمـؤلفـه الاستاذ عبد الكريم الاشتر . وحقل الدراسة الادبية ليس بالحقل السهل الذي يتخيله بعضهم ، لان المؤلف فيه يحتاج الى ان يعيد الحياة التي يتكلم عنها الى سيرتها الاولى ، فهو يحياها كما كان يحياها صاحبها ، قبل ان يقبل على الكتابة . ولذلك لا يخلو عمله من جهد ومشقـة . اذ هنالك مشقة جمع الوثائق ، والافكار والظروف والعوامل. وهنـالك استحياء البيئة ثم الاقدام على تاليف هذا الشيء كله في وحـدة منسجمة .

ولا بد للدارس الناجح ان يعطيك ـ خلل عمله ـ من نفسه ، كما يعطي من نفس غيره ، لانه ، اذا اكتفى بالجمع والعرض لم تكن دراسته بالدراسة الحية . فهو ، من هذه الناحية ، يحمل قلمه الكثير من خفقاته واحاسيسه ، كما يحمله من عقله ودراسته .

امامي الان « كتاب النثر المهجري ، او كتاب الرابطة القلمية » يقع في جزءين ضخمين ، يضمان مجموعة محاضرات القاها صاحبهـا على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في معهد الدراســـات العربية العالية .

والكتاب واحد بموضوعه ، جديد بطريقه ، على كثرة ما الـف الدارسون عن الادب المهجري . لان الذين استهدفوا ادب المهجر انصرفوا الى دراسة الشعر فيه ، ولم يطرقوا نثره كوحدة مستقلة . وبذلك شغل الاستاذ الاشتر في كتابه هذا فجوة كانت فارغة ، القى منها صورا على هذا النثر الذي لا يقل في الواقع اهمية عن الشعر .

والادب المهجري كان ـ ولاريب ـ في طليعة المدارس الادبيـــة التي اثرت في مجاري ادبنا الحديث ، رغم انه نشأ غريبا على ارض المهاجر . وقد نجح ادباء المهجر بهذه المنزلة لانهم عادوا الى انفسهم، ومشاعرهم ، واسلوبهم الذي كان له تاثيره ، على الرغم مما قيل فيه لهم او عليهم .

ولا شك ان الاستاذ الاشتر قد وقف مترددا ، كيف ياخذ النـثر، هل ياخذه كفن قائم بذاته ، او يتناوله بحسب الاشخاص ؟ لان الموضوع الذي اخذه ضخم ، معقد ، كثير التعاريج ، حتى هداه ذوقه الى ان يركز دراسة النثر المهجري في كتاب « الرابطة القلمية » التـــي كان عميدها جبران خليل جبران ، والمهجر هنا هو المهجر الشمالي من امريكا، وليس له اي اتصال بالمهجر الجنوبي منها . والرابطة القلمية كانـت لها حسنات شتى على الادب العربي في الثلث الاول لهذا القـرن . وقد اراد المشارقة هنا ان يقلدوها ، فالفوا في دمشق « الرابطـــة الادبية » التي لم يكتب لها البقاء والنجاح ، لانها كانت تنقصهـــا الاقلام والمواهب المبدعة .

وابرز كتاب هذا النثر الذي انصبت عليه الدراسة : « جبـران ونعيمه » اللذان كانا عملاقي الرابطة القلمية . اما الاول فقد توفاه الله عام ١٩٣١ . واما الثاني ـ امد الله في عمره ـ فلا يزال يغني الادب العربي بتفكيره وادبه .

اما الجزء الاول ـ من هذه الدراسة ـ فقد وقفه المؤلف عـــلى دراسة المضامين العامة ، وصورة التعبير ، ليكون ذلك بمثابة المقدمـات التي تهيىء لدراسة الفنون الادبية التي عالجها كتاب الرابطة فنا فنا . والجزء الثاني جاء دراسة لهذه الفنون .

عالج المؤلف في الجزء الاول دراسة البيئات الفكرية العربيـــة التي كونها المهاجرون في المهجر ، ثم عالج مصادر تكوين الادباء الفكري العامة ، ثم انتقل الى دراسة المضمون الادبي بعد ان وزعه الى المضمون الانساني ، فالمضمون الاجتماعي ، فالمضمون الوطني ثم انتقل الى دراسة صورة التعبير التي اختارها هؤلاء الادباء للتعبير عن هذه المضامين ، ثم درس في الجزء الثاني فنونهم الادبية التي تركزت في المقالة والقصة والنقد والسيرة والامثال والرسائل .

والذي يمعن النظر في هذا التقسيم لا يسعه الا ان يرحب بهذا التنظيم الذي يدل على التركيز في البحث ، وحسن الانسجام في المادة .

وعندي ان الجزء الاول من الكتاب يكاد يكون حجر الزاوية فـي هذه الدراسة ، لان دقة البحث ، ونظام الدراسة لازماه من الفه الى يائه ، ومن ذلك فصل عن مصادر التكوين الفكري العامة لادباء المهجر، التي ردها المؤلف الى الثقافة المسيحية وما انتهى اليها من فلسفات الشرق واديانه ، والثقافات الاجنبية التي تضم اداب الغـــرب وفلسفاته ، واخيرا تجربة المهاجرة التي وسعت افاق حياتهم ووضعتهم في قلب الحضارة الحديثة ، وعلمتهم الحنين والتفكير الدائم في الوطن.

ولكن هل يمكن ان تكون هذه الطريقة التي اختارها المؤلف صحيحة في التعبير عن وجه النثر المهجري ، وهو يعلم انه لو اطلق نفسه من هذه القيد ، قيد الرابطة القلمية ، لاستطاع ان يجمع مع هؤلاء امـين الريحاني ، بعد ان يحذف اسماء عدة ، من الرابطة من لا نستطيع ان نعد لهم مدرسة نثرية ، وجل اعضاء الرابطة كانوا من الشعراء ـ كابي ماضي ، وندره حداد ، ورشيد ايوب ، ونسيب عريضة ، وانا لا استطيع ان اهمل مدرسة الريحاني في هذا النثر ، لانها كانت متفاعلة مع نثـر ادباء الرابطة ، بل كانت متصلة به في ظروف كثيرة . وقد كان الريحاني غير بعيد عنها لولا ان ظروف التنافس بينه وبين عميد الرابطة فرقـت بينهمـــــا .

وانا ، لو اردت الكتابة في هذا الموضوع لجعلت كتابي « الاعمـدة الثلاثة » جبران والريحاني ونعيمه، وجريت في الدراسة جريا مقارنا ، لان الريحاني يمثل خيطا من صميم هذا النسيج ، واذا كان جبران خيالا

مصورا ، ونعيمة قلبا مفكرا ، فان الريحاني لم يكن الا عقلا متحررا .

ونرى الدراسة قد اقتصرت على ما كتب نثرا ، وباللغة العربية ، ونحن نرى ـ كجبران ـ مثلا ، ونعيمه قد تركا لنا شعرا يرتبط كثيرا بحياتهما الفكرية التي عبرا عنها نثرا في ادب المقالة . كما نعلم ان جبران قد عزف في اواخر حياته عن الكتابة بالعربية، وشغلته الكتابة بالانجليزية ، ويرى بعض النقاد ان قمة جبران تتمثل في آثاره التي كتبها بالانجليزية ـ ككتابه الخالد « النبي ». واذ ظلت افكاره تتواصل ونضجه يكتمل وان تغير الاناء الذي يفيض بالماء . ومن الظلم ان نحكم عليه من الزاوية الاولى فقط ، وان اكثر كتبه مترجمة الى العربية . وكيف اجاز المؤلف ان يتناول كتابا لنعيمه هو (مرداد) كتبه صاحبه بالانجليزية ونقله بنفسه الى العربية فيجعله مصدرا من مصادر نثره ، مع ان هذا المنقول يحمل طابع الاسلوب الغربي ، مهما سعى المعرب الى ان يضفي عليه الكسوة العربية . وقد يجوز ترك « مرداد » لان روحه يمتح من روح نعيمه الكاتب بالعربية ، بينما نرى التفكير الذي كتبه جبران بالانجليزية قد تطور مضمونا وفلسفة واسلوبا عن تفكيره بالعربية ، ولذلك لا يجوز تركه ، لان اهماله يترك فجوة واسعة في دراسته بامانة .

وهنالك اللقاء بين جبران ونعيمه ، وقد رأينا في اعترافات بعض رجال الرابطة القلمية أن تأثير جبران في الرابطة كان واسعا ، ونافذا. ولكن الى اي مدى اتصل التأثير المتبادل بين هذين الاثنين ؟ وايهما كان اقوى روحا ونفاذا من الاخر ؟ ان المطلع على تطور الادب الجبراني الثائر، وما انتهى اليه هذا التطور من سكينة وطمانينة ، لا يسعه الا ان يعترف بان جبران عاد الى « الروح الشرقية الهادئة » التي تجلبب بها نعيمه في اليوم الاول الذي سطر فيه الحرف الاول . على ان المؤلف لم يقصر في تحليل الملامح المتشابهة والمتناقضة في شخصية الاثنين وادبهما : فجبران ، كان يضرب القمة بجناحيه ، بينما كان نعيمة يطلبها بالسير على قدميه .

ومن بين المضامين الثلاثة التي ذكرها المؤلف ـ اعني المضمون الانساني ، والمضمون الوطني ، والمضمون الاجتماعي نرى القاسم المشترك الذي يربط بين هذه المضامين هو الخط الانساني الذي ورثاه عن روح الشرق .. ولكن ما يدرينا ان هذا الخط الانساني لم يشتد وضوحا عندهما لانهما ـ بعد ان فقدا الوطن ـ وهما يعيشان بلا وطن ـ استعاضها عن هذا المفقود بالانسانية التي تطغى على الوطنية ؟

اعمدة ثلاثة تلاقت في الذروة : جبران اراد ان يرفع مجتمعه بخياله، ونعيمه بقلبه والريحاني بعقله !

وفي الحق انني قضيت في صحبة هذا الكتاب ساعات حلوة ، ممتعة مفيدة واسرني كاتبه بحسن ذوقه الطبيعي وبحثه الدقيق ورشاقة اسلوبه الدافق حيوية وروعة ، حتى بت اعتقد بانه كتاب يجدر بان يكون مثلا حيا ، صادقا لكل دراسة تعتمد على المنهج العلمي المبين ، والذوق الادبي السليم ، فجزى الله المؤلف عن جهوده خير الجزاء .

حلب — خليل الهنداوي

الثوري والعربي الثوري

بقلم مطاع صفدي

منشورات دار الطليعة ، بيروت

*

الاحساس الحاد بان الانسان القي في هذا العالم ، وعليه في حيواته لكونه ان يعي او يبرر حقيقة كونه ، فيعطي لحظة انبثاق لاحساس اخر عميق بالكونية الحقة التي يريدها . وهذا الاحساس ذاته اما ان يمتزج بذراته وأبعاده فينبثق من عالم الصفر بدء ذاته ، واذ به طفرة بلا وجه بلا تاريخ . انه يصير تاريخ ذاته ، انه وعيه الذي ينظر الى ذاته كشخص عليه ان يخلق ذاته ، لا كمعطى من المعطيات . وهذه الصيرورة ستكون صيرورة تعرضه للخطر بدون انقطاع ، فالموجود هو ذلك الذي يعرض نفسه للخطر ، كما يقول كيركيغارد . واما ان ينتحر هذا الاحساس فيركض الفرد في عتمة الرقم ، وينظر وجدان متفرد بامتزاجه بطينة السديمية ، بطينة الاخرين . وليس من شاهد . (١)

والانسان العربي في غربته الانبعاثية ، التي تهبه ابعاده الثورية ،يحاول ان يتكون ، يحاول ان يخلق ذاته ؟ ان ينبثق بدء ذاته ، ليستقطب بعد في تجربته الانبعاثية تجربة واقعه القومي الثورية . وعندما يحس بغربته يحسها فردا ، وعندما يتكون فردا ، ولكنه لا يتحمل ثقل مصيره فحسب. ومن هنا يكون معنى التجربة القومية معاناة حية لقضية الامة .

« انه ليس نقطة التقاء وتقاطع ولكنه هو نفسه نقطة لاشكل هندسي نهائي لتكونها وخطوطها » ص ٤٨٣ . واذا حاول ان يحيا وجوده فلا يمكنه ذلك الا باعتباره ثوريا .« فكان شرط الوجود المشروع لكل فرد كيما يحصل على انسانيته الضائعة هو الثورية » ص ١٠٧ .

فكيف تتكون تلك الانبثاقة الثورية ؟

« ان الانبثاقة الاولى ، للانا الثوري هي محض تاكيد عضوي ينطوي على اتجاهات سلبية وسالبة مختلفة تترى بدون انقطاع ، في سبيل ان يتكامل موقف هو ذاته غير متكامل ، أي لايبلغ قط درجة توقفه مادامت

(١) اود ان اشير مقدما الى ان انطلاقة الاستاذ مطاع صفدي في كتابه « الثوري والعربي الثوري » انطلاقة وجودية ، كما في بقية كتاباته . ويستطيع ان يجتلي القارىء اثر بعض الفلاسفة الوجوديين امثال : كيركيغارد ، هيدغر ، ميرلوبنتي ، وسارتر خاصة .. في كتابه هذا، في رجوعه الى الكثير من اقوالهم ، وفي تطبيقه انبثاقة الفرد ـ الوجودية ـ على التجربة القومية ، وفي رفض التاريخ ، وفي فهمه للحرية ، وللطبيعة العمل الادبي .. الخ الخ .

صدر حديثا :

المهزومون

بقلم هاني الراهب

موهبة روائية جديدة تبزغ

في سماء الادب العربي الحديث

الثمن ٣٠٠ ق.ل ـ ٣٧٥ ق.س

دار الآداب

العلاقة المأساوية قائمة بين ثوريته والواقع المثار عليه » ص ٧٢ . فالانبثاقة هذه ترجع الى الواقع الانساني الذي يدينه الانا الثوري في عفويته الواعية او اللاواعية . وبهذا تتكون الانبثاقة الاولى لخطة رفضه ، والرفض بدء الاغتراب من اجل التجربة الثورية ؟ والرفض بدء تشكل ، او تكون آخر (١)

ان ادانة الواقع الذي يحياه الانا الثوري ، او ادانة السديمية والانفصال عن اللاتعين ، هي اللحظة التي تضيء الاستمرارية الثورية، ومناضلة السديمية واللاتكون ليس في الاعماق الفردية فحسب ، بل في بقية الذوات الاخرى التي تشكل السديمية . ومن هنا فان « الثورية العربية رغم انها فردية الا انها تحمل طابع التمريض لان يكون كل انسان فرديته الحقيقية » ص ٧٧ . ومن هنا تضمن التجربة القومية نحو فرديات تلتقي لتمتزج بعميميتها من اجل امكانية الخلق ايضا . وبما ان التجربة القومية تجربة فردية في اي مستوى من وجداناتها ، فلا بد من معاناة وعي لضرورة ان يوجد الفرد اولا يوجد . انه مطلق وجوده. ووعي هذا ليس الا الطفرة البدئية المتحدية في محاولتها لاعطاء الذات عبر وجودها ، فعالية استمراريتها وكينونتها . وبما ان هذه التجربة القومية الانبعاثية تحاول ان تتحقق ككل في بعث يعطينا امكانية بعث اخر ، يعطينا امكانية بعث اخر ، وهكذا .. فلا بد ان يعي الفرد انه مطلق وجوده ، وبالتالي يكون مطلق تجربته ، ولا بد ان تكون بهذا تجربته وجوده . وما وجوده الا عملية ثورية في مقالي حركيتها المتعالية.

« والمشروع او الممكن يفترض ان المستقبل هو الحاضر الدائم ، وان الماضي هو حصيلة الحرية ، ولكن ما ان تزول تبعيته لحرية متحركة حتى ينقلب الى شيء لا اسم له . فالزمان منفتح اعتبارا من الان الراهن. والانسان العربي الحر يوجد ولا يوجد . يكون ولا يكون . وفي هذا التواتر يقوم عالم التجربة القومية في خصبها وعمقها الانساني الزاخر » ص ٤٦٣ . ولكن كيف يوجد الانسان العربي الحر ولا يوجد ؟ يكون ولا يكون؟ انوعيه لحريته، حريته التي هي هو، يعطيه امكانية وجوده، والحرية لايمكن ان توجد ولا توجد ، ان تكون ولا تكون ، اي ان تحيا لحظات الغياب وبما ان الانسان العربي هو مطلق تجربته ـ وجوده ، فلا بد ان يكون حريته متحققة في انية تاريخية وانسانية . ووعي الحرية الذي يحققه في ثوريته يكشف فيه القدرة على ان يكون ، من اعماق ذاتيته ، انبثاقة ضوء في مصير امته وحريتها المطلقة التي تكون صميمية التجربةالقومية.

والعربي الثوري في وجود التجربة الآني لا يختار ماهيته أو ماهية امته لانه يحياها في تجربته التي هي وجوده المتحقق . فرفض السديمية رفض الذات من اجل البراءة لا يتاتي بلا حرية . وهكذا كان لا بد من القلق والتمزق من اجل الحرية الحية في انبثاقة الرفض . وليس من يقين ، فلا بد من الاستمرارية وتجاوز الان ، وفضح العبث .

ان الفرد العربي الثوري ضد ذاته ، ضد الآخرين في السديمية ، لانه كون ذات خالقة في حركية ثوريته . فهو المراهق ـ ابدا ـ الذي يعاني ليس ازمة خلق وجوده فحسب ، بل وجود امته المشروع . انه لا يتملك . انه يرفض أن يكون عبدا او سيدا . انه حريته ، وجوده ، بدء ذاته . وفي تفتح وعيه على الشرطية العامة لثورية امته يحدد موقفه الشامل من معطيات واقعه القومي . وبذلك ترتبط ثورية الرفض فيه بالثورية الحقة من اجل البراءة ، براءته وبراءة امته ، بالاتحاد بذاتية امته ، في موقف عقيدي فعال ، ونظرة شمولية تكوينية ترفض ما هو جاهز ، وتحاول ان تخلق . (٢) ذلك ان الثورية القومية لا بد ان تتكون جذرية شمولية . ولا بد من الاتحاد بالمصير الكلي للامة الذي يكاد يكون صوفيا في امتزاجه بالموقف العقائدي الفعال .

وماذا يتطلب الموقف العقائدي ؟

« ان اول ما يتطلب الموقف العقائدي تحديد مقياس مطلق يكفل لنا الخلاص من سديم التجربة القومية ، سديم البداية ، وما يتضمن من نزوع مبهم للوجود المشروع » ص ٤٥٦ . اما المقياس « فانه مقياس انقلابي وجودي ثودي يتعلق بانها وجود وبابداع وجود اخر .. » ص ٤٥٧ . ولكن كيف تكون عملية انهاء وجودنا (المطمور) وعملية ابداع وجودنا (الآخر) ؟ ان القضية قضية خلق من البدء ، وليست بالتطور أو التحول . وما دمنا نعاني انفصالا ذاتيا بين ما نحن عليه وما كناه ، فمجرد وعينا وما كنا ، وانفتاحنا نحو ما كنا يحدد عملية انهائنا لوجودنا الذي كناه ولا زلنا نعايشه رغم انفصال آنيتنا عنه.لانه لا بد لاستمرارية التجربة القومية من استمرارية الطابع الحركي ـ كما يقول الاستاذ مطاع ـ ومن التعارض المجرد والوجودي ايضا (على أن لا يكون هذا التعارض سلبيا) . ومن هذا التعارض ينبثق معنى التجربة القومية . وكلما ضحل الاحساس بهذا التعارض ضحل عدم الخلق وبالتالي الانبعاث ، وبهذا يكون التعارض محاولة استمرارية تتجاوز الآن .

وما دام المقياس الانقلابي الوجودي الثوري يتعلق بانهاء وجود ، وبابداع وجود آخر ، فلا بد لشمولية هذا المقياس ولشمولية التجربة القومية ، من ان تنفتح نحو معطيات الماضي (١) ومعطيات العصر ، ولا بد من الانفتاح نحو ارادة الحرية والذرى البكر الخصيبة في القلق العربي من أجل الوجود ، لان في انفتاح التجربة على هذه العوالم خصبها وعمقها وخصوصيتها وشموليتها (٢)

يرى الاستاذ مطاع أنه قد « انبجس من أعماق الجاهلية العربية نموذج انساني ثوري .. فريد ، اشتمل على جميع ممكنات الشخصية العربية في المستقبل ، التي ستتفتح ضمن تطورات حضارية أخرى » ص ٣٠٠ كان العربي الجاهلي يقدس جسده ، يحب انفعالاته ومجالاته، يتعطش لتحقيق الانسان المطلق في ذاته . يباشر الاتصال بوجوده الثوري الفنان في طبيعة انسانية عنيفة بممكنات البطولة . والعربي الجاهلي حر يبدع وقومه مصيرهم ، والعالم رحب من اجله . وما دام لا بد من الموت فلا احلى من يحيا وجوده الى ذروته. لانهائية الصحراء، الريح ، الرمل ، البساطة في الفن ، في كل شيء ، البطولة ، توفر كلها على الفارس الشاعر الرعب الميتافيزيقي الاولي ايضا . والبراءة ليست في الذات ، وانما في موقفها من العالم أيضا ، وليس من مشكلة . ولعل طرفة بن العبد في حيواته وشعره (يمثل) هذا العصر العربي الموار الفريد .

ومع الخضم الاسلامي ننتقل من ثورية من أجل الحرية والتمرد الى ثورية من أجل اليقين . واذ بالانسان العربي ينسحق امام اللامتناهي الميتافيزيقي، بعد التهجين الشعوبي خاصة. فهو بلا معاناة، بلا مخاطرة بلا عفوية . ان الانسان الذي كان مركز الوجود في ليالي الريح والرمل أضحى مجرد كائن هرم حتى في طفولته !

---

(١) ولكن لا رفض على ان اعي ما ارفض ، لاعي ما يجب ان اكونه . وبذلك فلن يجدي الرفض للرفض فحسب ، لانه رفض بلا اي انماء للتجربة القومية . ولان في امكان الفرد ان يرفض كلية التجربة القومية ما دام الرفض فحسب !

راجع ص ١٣٣ من الكتاب .

(٢) ولذلك فلا اوافق الاستاذ مطاع في قوله : نود اشبنجلر وسارتر الخ ص ٣٤٣ . فانا اعتقد اننا نحتاج ان نكون نحن انفسنا ..

(١) ان مجرد الانفتاح نحو معطيات الماضي عملية داعية لماهية هذه المعطيات . ولذ فلا يمكن ان نقول : « .. عند هذا توقفت ثورية عربية كاملة ، وانطلقت حضارة ، وتحولت الى مجرد تراث لن يفيده اي تقييم سلبي او ايجابي في المستقبل ، انه هو كل ذاته ، وكما هو ، ليس بعد ثمة أي شيء آخر . » ص ٦٥ . فما دامت هذه المعطيات هي كل ذاتها، وكما هي ، وليست بعد أي شيء آخر ، فلماذا يكون الانفتاح نحوها ؟ وما دام الانفتاح نحوها سيمد التجربة القومية باحساس الاصالة، فكيف يمكن أن تكون مجرد تراث . واذا كانت ستمدنا باحساس الاصالة ، فكيف لا يمكن ان يفيدها أي تقييم سلبي او ايجابي والانفتاح بعد يعني فيما يعني محاولة التقييم .

(٢) راجع ص : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، من كتاب « الثوري والعربي الثوري » .

ويلتفت الاستاذ مطاع في محاولته لتفهم طبيعة ذلك الخضم المتضارب الى انبثاقات شبه ثورية ، كالانبثاقات الصوفيةعنابن العربي ، الحلاج ، وابن الفارض .. ولكنه لم يعطنا الا التفاتة (لمادية) لم تحاول ان تتعمق هذه الانبثاقات . وان كان باستطاعته ذلك على ما اعتقد . وبنظمر التيار الانساني في التصوف في اعماق الحضارة المنمقة .

لمة البثاقة المتنبي بدعوته الفردية واستغراقه الذاتي الذي لم ينته به الى شيء . أنه ضد الآخرين . لقد انفصل عن العالم الخارجي ، واوانه ، وأوان قيمه في الساعة ذاتها . وتحدى المخاطر الاجتماعية والميتافيزيقية بوحدانية مبدعة تحاول ان تخاطر . ولكنه لم يأمل في تحول جديد .

اما ابو العلاء المعري فانه يمثل اللحظة النقدية المطلقة من حضارة حاولت دائما قتل الازمة أو تزييفها في مطلق لا هدف له ولا حرية . العالم عقيم . العالم مزيف . العالم عبث . وليس من أمل في تحول جديد . مولد المأساة يقتل ، المعاناة تنسحق .. ثم انطفاء مر ، انطفاء ، وعتمات . وبالانفصال بين نموذجي الصراع الامة الديونزيوي والايلوني طمرت تجربة العرب التاريخية . (١)

ومن التكوين الوجودي بطبيعة التجربة القومية ، بما تشتمل عليه من ايقاع انبعاثي ووعي شمولي تكويني لمصير الامة نستطيع ان ندرك ماهية ثورينا ـ الثوري القومي ، الذي يتضمن الثوري الاجتماعي ، ويتجاوزه ، ويكون تقييمه ، محاولا الرجعة الى تكوين ذاتي للامة في حركية انقلابية لتكون الشرط الوجودي العميق للانسان الآخر الذي ينبعث منهوفيه يعي ما يريد ولذا فهو يرفض داعيا ، وبهذا يمتاز احيانا عن الثوري المراهق (٢)... ولكننا لا نستطيع ان نقول : « ان ارتباط البطل بالايقاع المصيري يؤهله الى أن يكون هو نفسه ذلك الايقاع » ص ١٥٤ . ذلك ان البطل قد يعي هذا الايقاع ، ولكن امكانية كونه هذا الايقاع لا تتكشف فيه ، لان الايقاع المصيري للامة ، بما هو ذروة واعذار ، يرتبط بالعمل البطولي العالم للامة . قد يمثل البطل هذا الايقاع ، ولكن بما أن البطل « لا يمثل التاريخ .. » ص ١٥٦ . فكيف يكون هو الايقاع المصيري للامة ؟؟

ويقول الاستاذ مطاع : « .. وهكذا فالثورية في موقفها العملي انما تستهدف تغيير شكل من أشكال الحياة الاجتماعية ، وأما المضمون الانساني فلا تستطيع أن تبلغه الا اذا كفت عن كونها ثورية عملية وأعطت بديلا قيما حقيقيا » ص ١٦٠ . ولكن اذا ما كفت عن كونها عملية أفلا تخفق كعملية انبعاثية ، لان الواقع العملي اثارته الخاصة بالنسبة للثورية، ولذا فقد لا يجدي البديل القيمي ، او المخطط العقيدي .

*

يحلل الاستاذ مطاع صفدي في فصل « ازمة البطل المعاصر » ذاتية البطل المعاصر عند : بروست ، رولان ، مالرو ، همنغواي ، فولكنر شتاينبك ، سارتر ، كامو .. والرؤيا الفنية عندهم رؤيا للمأساة ، للعتمات في حيوات الانسان : اضطراب أبدي ، اخفاق ، العصر هرم ! ولكنها حرمة ! البطل ابله . البطولة تكلل بالاخفاق . الانسان ضجر الذات مريضة .. الذات ضائعة في بداية التكوين ، طفلية الملامح .. متثائب حزين ، او محاصر مقتول . ولا مجال للاختيار . وما الخلاص؟ لعله في الحنين الى قداسة الحب ، في الفن الاصيل ، في اتحاد الانسان المأساوي بالانسان القوي ، في محاولة بعث آخر . ولا مجال للاختيار ، وهذا مصير سيزيف في حمله الصخرة الى الذروة لتنحدر الى القاع ، ثم في حملها ثانية والى الابد !

(١) لا حاجة بنا الى القول ان مجرد الانفتاح نحو معطيات هذا الصراع انما هو عملية احياء لها .

(٢) انا لا اطمئن الى تقسيم الثورية الى ثورية مراهقة ، وثورية اجتماعية ، وثورية قومية ..! الخ بالنسبة لواقعنا القومي . لهذا لم أتعرض لهذا التقسيم بالتفصيل .

ولكن ما دامت « الثورية انتصارا على الكآبة » ص ٤٨٣ فلماذا لا نحاول أن نؤمن بأنه لا بد من انبثاقه . ولعلها تكون انبثاقتنا .

ويحاول الاستاذ مطاع صفدي في فصل « الموسيقى وثورية التعبير » أن يبين الدور التحرري الذي تحياه الموسيقى ـ أعمق انتاج انساني اخلاقي يعبر عن مأساة الروح الثورية . ويحاول أن يكتشف أو يرصد تطور هذا الطابع التمردي عند : بتهوفن ، شوبرت ، شومان ، ليزت، بارتوك ، فاغنر ، شتراوس ، برليوز ، مالر ، برامز ، سترافنسكي ، تشايكوفسكي ، سيبيوس ... ويستنتج : ان التحرر هو طابع عصرنا ، والموسيقى هي هذا التحرر ، فهل من العجيب ان تكون أقرب الفنون الى التعبير عن انسان عصرنا المجنون بمشكلته » ص. ٢٨ (٢)

واذا كانت الحياة في الاساس طنورا ، واذا كان هذا الطفور: « وحدة الخصب في ربيع الارض ، في ينبوع من الصخر ، وفي شباب في دم رجل ، وحساسية امرأة فالاعصار في الطبيعة ، والاعصار في الرغبة ، والرضوخ العظيم الذي تتجه نحوه بقوة وتصميم ارادة الحياة ، هو المقياس البديء الكون الانسان موجودا اصلا » ص ٣٧٨ . اذا كانت الحياة كذلك في صميمتها ، فالفبطة كل الفبطة أن نحياها ، ان نكون نحن صميميتها ، لا أن نفكر بها . وبذلك تكون ثوريتنا هي حياتنا . ولكن المشكلة هي أننا نفكر ، أي اننا نحاول أن نبحث عن علل لحياة تقودها المصادفة .

ان معاناة الانسان لطبيعة الوجود ذاته من أجل مطلق ذاتي محدود ولا محدود . ومباشرة الاتصال بالارض بالعالم . الفرح بالجسد ، يعطي الفبطة . ومن هنا كان التأثر الديونزيوي بابعاده الحقة : العطش والتعطش الى المطلق . كان جذر ذاته ، جذر وجوده . انبثاقتهلانه شاقته ان بحثه عن المعنى ، الماهية ، او تحقيقه المعنى ، الماهية ، تحقيق ذاتي فرح محب . واذا ما التقى مع الاخرين فسيلتقى معهم في قضيتهم كموجودين يحاولون تحقيق وجودهم الحقيقي . والاستقرار .

« ان البحث عن المعنى يصاحب البحث عن الكلية ، كما ان البحث في ذاته انما يعني عن عدم توافق بين الذات والعالم . وما الطموح الى المطلق بصورة مباشرة أو غير مباشرة الانوع من تحطيم الحدود الواقعية . انه ثورة فكرية على المعلوم في سبيل المجهول . وعندما يتحول البحث عن المطلق الى ازمة وجودية ، فان الموقف الانساني لا بد انه سوف يصبح موقفا منفصلا أي ثائرا » ص ٣٨٠ . ولذا كان الانفصال شرطا للثورة . فانا اثور بسبب من واقع ما ، ومن أجل واقع ليس موجودا بعد ص ٣٧٩ . ولكن عندما يشمل الانفصال كل تبرير ، عندما يرفض الفكر ذاته ، عندما لا يقبل الفرد .. عندما لا يباشر الاتصال بوجوده كطفرة تعانق طفره ، ينبثق الثوري العدمي ، أو بالحري ينبثق الانسان العدمي . » وهكذا ينبثق نموذج الثوري العدمي ، خلال الثوري الديونزيوي . فالثوري العدمي ليس هو الا ارادة النفي الكلية تلقاء أي تبرير ميتافيزيقي للوجود » ص ٣٨٧ . انه بعد آلهة ، أضاع وجهه ، تاريخه ، وجوده . ولازمان ، لا مكان في بؤرة الغربة والوحدة والعزلة. ولكن ما دامت الثورية (الحقة) انتصارا على الكآبة ، فيجب العلو من أجل معانقة الذرى البيضاء .

(١) أود أن أقول ان الاستاذ مطاع صفدي لم يشر الى الجانب الايجابي من قضية البطل المعاصر ـ بطلنا . ثم انني لا استطيع ان اتفق معه في قوله عن انتاجات كامو :« (ولعل) كامو قد وفق الى ابراز ملامح بطله من خلال دراسته عن الانسان المتمرد اكثر مما حصل في قصصه ومسرحياته ، التي جاءت الى حد بعيد ظلالا متفاوتة ، محرفة قليلا او كثيرا عن انتاج سارتر » ص ٢٤٦ . وقد كتب الي ، في رسالة ، بانه يعد كتابا عن الفرق بين أدب كامو وسارتر . ثم الى اي مدى نجحت « تجربة النقد الشمولي » في هذه المقالة ؟

(٢) كنا نحب لو ان الاستاذ مطاع وضع في كتابه دراسة عنموسيقانا العربية ، وعن أسباب اخفاقها او تخلفها في التعبير عن الانسان ـ العربي ـ المعاصر ، استكمالا لجانب من جوانب دراسته الكبيرة .

« العدمي هو نكوص الديونزيوي نحو اللاوجود . ان العدمي يطلب الحي والجنس والفرح والفناء ، بينما لا يحسن الا تقديم الفكر والعقم والمأساة والعويل الصامت » ص ٣٨٧ . وقد كانت الديونزيوسية حلم نيتشه لان العدمية امنية (غير متحققة) في عودة الديونزيوسية .

وهل يمكن تحويل العدمية المنفعلة الى عدمية فاعلة ؟

قد نستطيع ان نجد في التمرد شيئا من هذا ، كما فعل كامو ، ولكن ما دامت القضية تظل علينا هكذا : « ان افجع المسائل واشدها تمزقا هي مشكلة القلب الذي يتساءل : أين استطيع ان اشعر انني في بيتي ؟ » ص ٤٠٠ . ما دامت القضية تنبعث حادة عنيفة ، فكيف يستطيع الفرد ان يحقق وجوده في العالم ؟

عليه ان يحس ، كما احس نيتشه بان الارض هي حقيقته الوحيدة ، ولها فقط يجب ان يخلص الانسان ، وعليها ينبغي ان يصنع سلامه ص ٤٠١ . وبهذا ينبعث طفلا آخر ، بداية اخرى . تلك هي الحقيقة في بعث الذات التي تنسحق ، تعدم التعاود والوجود . ان الارض الحظيرة المثالة هي وحدها الحقيقة ، وحدها هي الالوهية ، كما يقول نيتشه . ويجب ان لا يبيح التمرد ـ كما عند كامو ـ حق اللاشرف في ظهيرة الفكر . فلعله ينبثق من المتمرد الحقيقي الثوري (الحقيقي) الذي يعيد خلق ذاته وعالمه . ان ادراكنا عبثية وجودنا يحتم علينا ان نخلق أبعاد عالم حقيقي آخر نحياه ونتجاوزه ، فوعي العبث يفضح العبث .

لنتصل اذن ببراءتنا ووضوحنا . وبراءتنا ووضوحنا يعاشان ولا يدركان فحسب .

★

والآن نستطيع أن نتساءل : الى أي مدى تعانق فكرنا الثوري وحيواتنا الثورية . وهذا لا يعني الفصل بينهما لانهما متزاوجان أبدا . وحيواتنا الثورية هي فكرنا في المجال المجرد . وعلى هذا ففكرنا الثوري هو ـ نحن في عملية تحققه . وما دمنا نستيقظ على ذواتنا في قلب ثوريتنا المنفتحة نحو المجالات الابداعية لوجودنا القومي فلا بد ان يكتسب فكرنا بالتالي شموليته منا لانه يلازمنا ولو لم يتحدد بعد في ايديولوجية متكاملة .

ومن هنا فالفكر العربي « ما هو الا كلية التجربة الانقلابية عندما تعي ذاتها . وتقيم مفاصلها الوجودية ، وتصل بينها وبين كلية التجربة ضمن منطق عقلي صرف . ولكنه متضمن لكل تشخص واقعي يتفجر في قلب التجربة كلها شرط أن يكون هذا التشخص من طبيعة التوتر العام للتجربة ، أي أنه فعالية ثورية دينامية » ص ٣٦٢ . وهكذا كان الفكر الثوري والتجربة الثورية توأمين ، ولم يكونا تراثا فحسب . ان الفكر الثوري يتولد مع التجربة ، ويتفجر معها لارتباطه بانسان التجربة الذي يحاول الانبعاث . ولذا فان الفكر الثوري يتجدد مع كل انبثاقة ويتوالد ـ ان جاز لي هذا التعبير ـ ولذلك يتسم بالمخاطرة .

والتجربة الانقلابية تقدم قيمها الفكرية مع بنيانها الوجودي . فالفكر العربي بثوريته هو ثورية العربي والثورة ذاتها .. انما تمنح الفكر العربي ذاته النامية المتعددة الفعالية ، والمتنوعة التأثر والخلق » ص ٣٧٧ وكذلك لم يكن الفكر العربي مبررا للثورية ، او للتجربة الانقلابية العربية . وعلى هذا فاذا كان لا بد من تحليل ثوريتنا « فينبغي ان نصادف العربي الثوري .. لا بعيدا ولكن هنا .. في اعماق نفوسنا . فلكي افكر من انا ، ينبغي اولا ان اكون انا » ص ٣٦٦ . ولقد كان الفكر العربي ، بما يشتمل عليه ، يحمل في الذوات الثورية ، وفي صميمية التجربة الانقلابية امكانية خلقه ذاته . ومن هنا كان الفكر العربي عقيدة العربي الثوري العظيمة الشاملة . ولذلك يحاول العربي الثوري ان يفتضح ويفضح التزييف والزيف في الآخرين وفي ذاته .

والحرية هي الانبعاثة الاولى التي يجب ان تواجه الذات المسؤولة واقعها بها ، بتحريرها كل المستويات لان قتل الحرية ، قتل للذات الثورية ، وبالتالي قتل للتجربة الانقلابية . ومن الحرية تعي الذات المسؤولية امام تفجر وتفجير التجربة الانقلابية . ولكن .. الا يحتمل مسخ او تزييف الفكر في كونه حرية التحقق ـ داخل التجربة الانقلابية ـ كمقياس وجودي خالص ؟ القضية اذن في مدى وعي الثوري لحريته ولثوريته ، أو في مدى كون هذه الثورة حرة ، وفي مدى تفجر انطلاقته ، ووعيه لها . وهكذا فلنثور يجب ان نعي ان نفكر . ولنعي لنفكر ينبغي ان نثور . وفي وعينا وثورتنا يجب ان نكون احرارا . بل اننا لا نستطيع ان نفكر او نثور اذا لم نكن احرارا (١)

★

والآن .. الى أي مدى تكونت الثورية الفنية في الادب العربي ؟

لنتحرى ذلك ينبغي أن نرجع الى المقياس الميتافيزيقي الذي يقيس به الاستاذ مطاع انتاجات جيلنا .

يوضح ذلك في فصل « تجربة النقد الشمولي » فيقول : « ان النقد الميتافيزيقي سوف يربط بين الاثر الادبي ، وبين كلية الانسان . ولسوف يرى في الانتاج الادبي احدى فعاليات الانسان ، التي تجعله يوجد على مستوى جوهره الذاتي . وبقدر ما يفيض الادب بالايحاء حوله ، أي بقدر ما يحفل بالرمز الحي ، بقدر ما يحسد المقياس الميتافيزيقي » ص ١٩٧

والمحاولة العميقة في الادب العربي الثوري هي المحاولة التي استطاعت ان تتوهج معبرة عن المعاناة الداخلية للشرط الثوري في الواقع الانساني عامة . ويسميها مطاع « المعاناة الاشكالية في التجربة الابداعية » وغيرها في بعض انتاجات : الحاوي ، السياب ، الملائكة ، عبد الصبور ، حجازي ، الجيوسي من الشعراء . والشاروني جبرا ابراهيم جبرا من القصاصين . وتتجسد هذه المعاناة فيما يسميه ايقاع الرعب . (٢)

---

(١) لذلك فلا أستطيع ان اعتبر المثقفين طبقة في واقعنا العربي .

(٢) اريد أن أقول ان طبيعة هذه المعاناة حتى الآن لم تتضح بهذا الجيل من الادباء اتضاحا تاما ، وهذا ما جعل الاستاذ مطاع صفدي يقع في الغموض عندما حاول ان يعبر عنها .

راجع ص : ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ من الكتاب

أعطنا حبا

الديوان الاخير للشاعرة المبدعة

فدوى طوقان

الثمن ٣٠٠ ق.ل

صدر اخيرا عن

دار الآداب

وايقاع الرعب يتصاعد من اعماق الذات في محاولة التعبير المخلص عن أزمة الانسان في واقع انساني مدان ، دون اللجوء الى كل حركية خارجية تحاول ان تقنع بما تمضغ من حلم وكآبة وحزن .. وان كانت وضاحة الشعر العربي الجاهلي في تعبيره اللصيق بواقع الذات العربية، ففصاحة ادبنا الجديد أيضا هي في تعبيره اللصيق عن واقع الذات العربية الآن ، وبما يحمل من طابع المخاطرة ، ولذا فقد عانق ادبنا فصاحته من جديد (١)

ولكن هل المنحى الاشكالي ، بمقاييسه الميتافيزيقية ، في التأليف هو الطريقة الوحيدة ـ والصحيحة ـ للتعبير عن انساننا ؟

*

وبعد ، لقد قال الاستاذ مطاع صفدي في مقدمة كتابه : « ان التفكير الثوري ، ظاهرة اساسية للثقافة العصرية ، وهي لم تعد ذات صبغة نظرية خالصة وذلك انها مدعوة دائما للرد على متبهات اجتماعية وسياسية مباشرة . ولذلك فان هذا الكتاب يود أن يثير لدى القارىء العربي نزوعا نحو اشتفاف القضايا الثورية الايديولوجية ، من اجل فهم اعمق لموقفنا التاريخي من معركة الثورة والحرية » ص ٧٧ .واننا لنعتقد انها محاولة جدية معمقة من اجل ذلك . (٢)

مصطفى خضر

محمد العيد رائد الشعر الجزائري

دراسة بقلم ابو القاسم سعدالله

*

قبل التعرض للكتاب يجمل بي ان اذكر القارىء الكريم ان ابا القاسم سعدالله نفح القراء العرب عدة مرات في مجلة الاداب بقصائده الجميلة وبابحاثه عن الادب العربي في الجزائر ، وقد كان لمقاله « تصميم للادب الجزائري الحديث » وقع شديد في الاوساط الادبية اذ عرف الناس لاول مرة ان في الجزائر شعراء يستلهمون فنهم من احداث بلادهم وآلام شعبهم ورونق طبيعة اراضيهم .

وفي المدة الاخيرة اهدى ابو القاسم سعدالله للمكتبة العربية في الجزائر غرة انتاجه وهو بحثه الشيق عن الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفه .

وحينما نتصفح الكتاب نجد ان الكاتب قام بمجهود جبار : فديوان الشاعر ليس مطبوعا وحياته تكاد تكون لغزا لا يعرفها الا الاصدقاء والمقربون وابو القاسم سعدالله عرف هؤلاء الاصدقاء واستقصى منهم كل ما يتصل بالشاعر واستطاع ان يطلع على ديوانه المخطوط فجال في رحاب حدائقه وقطف لنا باقة زهور وعرضها علينا لنمتع العين بجمالها .

والكتاب مقسم الى ثلاثة اقسام .

في القسم يحدثنا الكاتب عن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي ترعرع في احضانها الشاعر ثم يعرض لنا صورا من حياته مدعمة بمقطوعات من شعره ثم يذكر لنا نوع الثقافة التي نهل منها ثم آراءه وتجاربه في الحياة. والكاتب يبدع حينما يتعرض للروح الفنية المتأصلة في الشاعر : فمحمد العيد يرى ان الشعر ريشة توقع الحانا عذبة على اوتار هي نفوس الناس . ويرى ان الشعر لوحة رسمتها الطبيعة وليس بها اطار فهي في ما لا نهاية .

انما الشعر ريشة ... كل نفس لها وتر
انما الشعر لوحة ... غير محدودة الصور

وفي القسم الثاني يحلل الكاتب شعر محمد العيد ويذكر لنا المجالات التي طاف بها الشاعر فآلهة الفن جادت عليه وجعلته ينتقل من شجرة مثمرة الى اخرى مزهرة وقد تعددت المواضيع التي طرقها الشاعر وتشابكت وتظهر براعة الباحث في تبويبها وتصنيفها ولما كان محمد العيد شاعرا حساسا ينفعل بكل ما يتصل بمجتمعه الصغير وبمجتمعه الكبير فان شعره منه الاجتماعي والسياسي ومنه الشعر الذاتي وشعر المجاملات .

وفي القسم الثالث يعرض ابو القاسم سعدالله مختارات من شعر محمد العيد .

ومحاسن الكتاب تظهر جلية فحياة الشاعر لا تنفصم عن شعره ولهذا كان الباحث اشبه بالمحلل النفسي الذي يستخلص حياة صاحبه من خلال كلامه وبذلك يعرض لنا صورة حية لحياة محمد العيد من خلال شعره .

ولكن الذي يؤخذ على الكاتب انه ذكر ان للشاعر مسرحية باسم « بلال » ولم يحدثنا عن هذه المسرحية رغم انها مثلت على خشبة المسرح في الجزائر عدة مرات .

كما انه يذكر ان الشاعر تأثر بجبران خليل جبران ولم يعقد فصلا في الكتاب يوضح لنا هذا الرأي فانه ذكر في الصفحة ٣٥ من الكتاب ان محمد العيد كان في طليعة من تأثروا بجبران بالذات في فلسفة الحياة والموت وفي حاشية صفحة ٤٨ يذكرنا الباحث ان ابياتا لمحمد العيد تكاد تسير على نغمة فلسفة جبران في الحياة ولكن هذا غير كاف لنقتنع بذلك ، فالشاعر وان كان قد تأثر الى حد بسيط بشعراء المهجر وبجبران خاصة فان آثار شعراء الشرق العربي بارز في شعره.

وهذه الملاحظات البسيطة لا تنقص من قيمة الكتاب فالباحث استطاع ان يرتبه ابوابا وفصولا وكان بحاثة في كتابه يحمل روح الاديب الذي لا تهمه الا الحقيقة .

وبهذه الكتاب دخل النثر الجزائري طورا جديدا فقد كان جل ما يفعله الاديب في الجزائر ان يكتب مقالة يعبر فيها عن آرائه او احاسيسه والاديب معذور في ذلك لان الجزائر كانت في هرج ومرج والحياة في اضطراب وعدم استقرار وبحث كهذا يحتاج الى طول البال والى حياة فيها كثير من الاستقرار وقد عرف عن سعدالله انه الانسان الذي يعمل في صومعته صامتا .

وكتابه بداية فترة ذهبية في النثر الجزائري الحديث فقد ختم به ادب المقالة وفتح باب الادب العميق الذي يفرض على الاديب ان يكون ذا روح علمية وذا طريقة موضوعية في البحث .

كلية المعلمين ـ القاهرة — **عبد الرحمن الزناقي**

---

(١) حملت مقالة الاستاذ مطاع عن ديوان « الناس في بلادي » الديوان اكثر مما يستطيع ! ثم ان عبد الكريم لم يستطع ان يعطينا شعرا له فنيته المتكاملة في ديوانه . ولذلك وجدت ان المقالة تخلت عن جديتها بعكس المقالة الرصينة : « اللحظة الحضارية والشعر » . وكنا نحب ان يتبع اعمال بعض القصصيين العرب فيحللها استكمالا للدراسة .

(٢) لم احاول العرض في هذه المقالة الا الى ما استطيع ان اعتبره الخطوط الاساسية للكتاب ، ولذلك لم اتعرض الى بعض الجزئيات التي اختلف فيها مع الاستاذ صفدي .

لهب وطيب

ديوان من نظم سلامة عبيد

*

« لهيب وطيب » نتاج ما يقرب من ربع قرن لشاعر من الجيل العربي المناضل ، الذي حمل رسالة الثورة على الاستعمار والاقطاع ، في جزء غال من هذا الوطن العربي الكبير .

صفحاته المائة والخمسون تقريبا ، ليست كثيرة بالنسبة الى هذا المدى الزمني ، ولكنها ليست قليلة ، اذ نظرنا اليها من حيث المحتوى الفكري ، والروحي والإجتماعي ، فهي عصارة حياة زاخرة بالحب والايمان والمثل العليا ، وخلاصة تجربة كاملة في الكفاح والثورة ، والولاء المطلق للامة العربية الواحدة .

لقد آمنت به شاعرا كبيرا ، يوم لم يكن له سوى بضع قصائد، ورواية اليرموك (١٣ شباط ١٩٤٤) انه لا يستطيع ان يتكلف الشعر تكلفا ، وان المعركة الوجدانية في نظره ، لا تقل شأنا عن المعركة الحربية وان صفاته اكثر ما تظهر في المواضيع المتصلة بحياة العرب القومية، بماضيها ومستقبلها ... وقلت عنه في كتابي « بنو معروف بين السيف والقلم » المنشور عام ١٩٤٤ والمخطط منذ عام ١٩٤٢ « ولي فيه امل لا يقل عن الامل الذي يراه في الاخضر من العلم العربي ، ومن عرف كيف يتغذى بقوة الجيل وطهره وبعده عن الامل الذي يراه في الاخضر من العلم العربي ، ومن عرف كيف يتغذى بقوة الجيل وطهره وبعده عن ترهات الحياة ، عرف ولا شك كيف يجود بالشعر الصافي يزخر قوة واملا وشبابا .»

وها انذا ارى املي يتحقق ، وارى الديوان خلقا سويا واراه كما قال عنه في مقدمته له ، الاستاذ الكبير مارون عبود « يظل في صدر ديوان العرب ، وهو كتاب الموسم ».

من المؤكد انك لن تجد في الكتاب ما يغري المراهقين من القراء. فليس من شأن سلامة عبيد ان يرسم الجمال المادي رسما يغري به الباحثين عن المتعة العابرة من ابناء الجيل : فلا هو عاش في بيئة تهضم هذا اللون من الادب ، ليفتعله ارضاء لاهوائها ، ولا هو بخالص من هموم العيش الكفاف ، ليبذخ فكريا وينصهر روحيا ، ولا هو بمتهرب من مسؤولياته لا يساهم في معركة قومه التحررية ، فيلهو ، ويعبث ، بينما مواطنوه يذوقون مرارة الاستعمار ومذلة الاحتلال ، وبدعة التجزئة ، ويموتون بالعشرات جوعا وظما ، وحرمانا متعدد الالوان والنغمات.

انه يحب ، وهل يكون شاعرا لو كان يجهل الحب ؟ وهل كان « للطيب » مكان في اسم الديوان لو لم يكن فيه الكثير من الحب ؟ ولكنه لا يعطي الحب نفسه لا يتفرغ للحب :

« عبثا يطمع في السكرة تفرى
وفؤادي مغلق عن كل سكر ».

كما يقول في قصيدته « لست ادري »

او

وظلمتني اما اتهمت جوانحي ،
بركودها ، ومشاعري برقاد
ما صخرة كبدي ولا ماء دمي ،
وفمي الى الطيب المذوب صاد
ان يبد في رأسي المشيب فربما
اخفى الرماد نضارة الوقاد
واذا سكت فخير ما عرف الهوى
انشودة تبقى بلا انشاد
لا تجرحي الطير الاسير لتطربي
يكفيه ما يلقى من الاعواد

اجل ، يكفيه ما يلقى من الاعواد . فهو لو نسي هذا الذي يلقى من الاعواد ، وراح يتهم بما يلقاه المترفون على الارائك ، لما كان مخلصا لنفسه ، ولا صادقا في روايته ، ولا وفيا لما اخذ به نفسه من مبدأ وعقيدة .

ان هذا الذي يسمونه التزاما ، ليس في الحقيقة سوى ، تصور بالمسؤولية . انه الاخلاص ، والصدق والاخلاص للشعب الذي نحن منه، والصدق في نقل ما نحس به حقيقة من مشاعر وما نعانيه من تجارب، ومن هنا ترانا مع الشاعر المبتذل عندما يصور مباذله وتجاربه الخاصة في صدق ، شرط الا تعميه هذه المباذل عن حقائق الحياة الاخرى ، شرط الا تجعله كانما يعيش معها في جزيرة لا صلة لها بوطنه ولا تتأثر بقضايا امته . فالاخلاص للتجربة والصدق في التعبير عنها ، مع الشعور بالمسؤولية ، وعدم الانعزال عن الجمهور هو ما نتطلبه من الشاعر والاديب والفنان اجمالا .

والذي ننكره على اي من هؤلاء هو اصطناع التجربة ارضاء لاهواء الغراء ودغدغة ميولهم ، وغرائزهم ، وتزلفا يقصد به كسب تأييدهم .. واموالهم !

عشنا جميعا حالة التجزئة ، وكانت فرحتنا تبلغ الذروة عندما اخذنا نهدم الحدود المصطنعة بين دويلات الاقليم السوري تمهيدا لهدمها بين هذا الاقليم وسواه من اجزاء الوطن العربي فيما بعد . افلا يستحق هذا الحدث ان يسجل في قصيدة مثل « الحدود المحطمة » وفيها هذه الصرخة المفعمة بالامل والتصميم على اعادة امجاد العرب :

« وغدا سنمشي امة عرباء رائدها النظام والتضحيات ، وهمة شماء تابى ان تضام ونسير بالعهد الجديد الى الامام، الى الامام، نفتتح الطريق.

«ويجن جنون فرنسا عندما تجد نفسها بعيد الحرب امام شعب لا يرضى عن تحرره وجلائها بدلا ، فيقصف أوليف روجيه دمشق يوم

صدر حديثا :

الطبعة الثانية من

سارتر والوجودية

كتاب لابد ان يقراه كل من يريد ان يفهم آثار سارتر

تأليف ،

ر . م . البيريس

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

منشورات دار الآداب - بيروت

٢٩ ايار ١٩٤٥ ، ويقترف مجزرة البرلمان ، فهل يجوز ان يقف شاعر جامدا تجاه هذه المأساة ؟

كلا ولا بد لسلامة عبيد من تسجيلها بقصيدته الخالدة « من دمانا »

من دمانا ، ايها السفاح ، من دمع اليتامى والايامي
اترع الكأس مداما
وادرها بين اشلاء الضحايا واستغاثات الثكالى والسبايا .

وهو بالمرصاد لكل ثورة في بلاد العرب يحييها ويدعو الى تأييدها . ثورة لبنان ١٩٤٣ (لبنان مرحى) و (تحية لبنان) :

يرضي العروبة ما بذلت لهـــا
وتعود بعد الهجـــر تفتـــر

ثورة الشيخ صالح العلي في حفلة تكريمه ١٩٤٥ ويجدها مناسبة لمعاتبة دمشق على اهمالها للجبلين :

بنت قاسيون أجيبـــي صـــوتنا
فلقد عشنـا نلبـــي مـن دعـــانا
جبلانـا حصنـــك الراســـي ومـــا
ارهـــق الـرواد الا جبـــلانـا

وثورة المغرب العربي ١٩٥٥ ، وثورة مصر ثم صمودها ١٩٥٦ :

يا قائد الجيل الجديد وملهم الجيـل الجديد
ومروض (الاسد) الحقـود وحاطم القيد العنيد
انا هنـا فاحطم بنا دنيا اساطيـر الحدود
وارفع على اشلائنا امجـاد (عقبة) و (الوليد)
فلمثلنا شرف النداء وعزة الحر الشهيد
ولنا الغد الطلق السعيد يدك احلاف (السعيد)

والوحدة التاريخية بين الاقليمين المصري والسوري ١٩٥٨ قبيل الاستفتاء (في غد تزحف الجموع) .

وهو الى جانب اهتمامه بالثورات على العدو الخارجي ، لا ينسى الاهتمام بحوادث بلاده الداخلية ، فيسجل اضطهاد الشيشكلي وتصميم الشعب على التخلص منه ١٩٥٣ (والخريف) و (لا لن اكون) و (نجوى).

هذا ، الى الوان والوان من الرثاء ، والوجدانيات ، وسواها مما يحفل به هذا الديوان الصغير الحجم الكبير المحتوى، الذي يستحق دراسات اوسع واكثر تفصيلا .

اما الشكل فهو الاسلوب العربي المشرق ، الجامع بين قوة القديم وجزالته موسيقاه ، وطلاوة الجديد وتعدد اوزانه وانغامه .

واذا ارنا ان نعرف سيرة الشاعر كاملة فما علينا الا قراءة قصيدته (ذكريات) التي يرسم فيها معالم هذه السيرة الفنية بالتجـــارب القاسية . ونختتم كلمتنا باطلالة على المستقبل الحلو الذي يتراءى له بعد هذا الماضي المرير ، المستقبل الذي جعله ممكنا ميلاد الجمهـــورية العربية المتحدة :

وترعرعت ، صرخة الثأر في سـمـ ـعي ونار الحقود فـي اعصابي
وبلادي في قبضـة البغي اشلاء تـلوى فـي لجـة مـن عـذاب
تحت اقـدام غاصب او دخيـل او عميل مستحدث او صحاب
نخرات عروشـهم والفـــات بـدم من جراحنـا مستطاب

*

واذا رعشة الحيـــاة ندوى في انتفاضـات مـــارد غلاب
حطم الفمقم الرهيـب وشعت في محيـــاه بسمـة كالشهاب
تهزم الليـل ، ترسـم الدرب تبحـث بقايـا الاوثـان والانهاب
يا زعيمي ، يا ملـهم الجيـل روحـا حـرة يعربيـة الاطياب
دربك الدرب لا غـير ، وفينـا بعض عـزم من عزمـك الوثاب
واذا أنّت الحنـايا فعـــذري ان بـي من مرارة الاسى ما بي
سوف اسلو لاجل عينيك امسـي
واغني غدى لحون الشـــباب

فهل نفهم من هذا اننا على موعد مع سلامة عبيد في ديوان او دواوين اخرى تغني الغـد ولحون الشباب ؟

دمشق — سعيد ابو الحسن

أنا والبحر

يا كتـابا يفنى الزمـــان ويبقـى
ان في صمتك الرهيب لنطقـــا

هـات حـدث عن الوجود قديما
وارو عنه ما كـان حقا وصـدقـا

والملايين مـن جـوارك جـاءوا
ثم راحـو في لجـة المـوت غرقى

أين أحلامهـم وأيـن رؤاهـــم
ومناهـم والعيش صفـواً ورنقا

حلقت في الفضاء أسـراب طير
ثم غابت والافـق مـازال افقـا

*

في يـا بحـر لو علمـت بحـور
زاخـرات يدفقن بالحب دفقـا

قصر الشعر عن ادائها فاستحالت
زفرات في الصدر يحرقن حرقـا

اي شعر يحيط يـومـا بحـب
جمـع العالمين غربـا وشرقـا

لو تكون البحار طـرا مـدادا
لكلامي وزادها الجـو ودقـا

لانتهت كلها وشيكـا وظلـت
كلماتي تفيض نـورا وحقـا

*

ايها البحر كم تكابـد شوقـا
للاعالي وكـم تكابـد رقـا

انت مثلي يا بحر ترجو انعتاقـا
وترى خلف افقك الرحب افقـا

عمر ابو قوس